النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٩٩٨/٢٠
الأحد ١٧ أيـــار
أحد السامرية
القديسين الرسولين
أندرونيكس و يونياس
اللحن الرابع
إنجيل السحر السابع

الـرســالــة (أعمال الرسل ١١ : ١٩ – ٣٠)
الإنــجـيــل (يــوحــنــا ٤ : ٥ – ٣٩)

+ أحد السامرية

ذكرنا سابقا أن المقطع الإنجيلي الذي يقرأ في عيد نصف الخمسين، الذي يقـــع يـــوم الأربعاء السابق لأحد السامرية، مأخوذ من إنجيل يوحنا، الإصحاح السابع، الذي يتحدث عـــن صعود يسوع الى الهيكل في إنتصاف عيد المظال الذي كان يستمر سبعة أيام. وفي آخر أيام العيد وقف يسوع في الجمع وقال لهم : "إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب. من آمن بي كمـــا قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الـــذي كـــان المؤمنـــون بـــه مزمعين أن يقبلوه" (٣٧ – ٣٩). على هذا الأساس رتبت الكنيسة أن يقام في هذا الأحد، "آخر أيام العيد"، تذكار المرأة السامرية التي ألقاها يسوع قرب بئر يعقوب (يو ٤:١ – ٤٢) والتـــي قال لها : "من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش الى الأبد، بل الماء الـــذي أعطيـــه

يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية" (١٤:٤). وكأن عيد اليوم هو آخر أيام العيد، وحلول الروح القدس على التلاميذ والكنيسة. منذ اليوم نحن في أجواء التهيئة لعيد العنصرة.

في هذا اليوم يلتقي يسوع بالمرأة السامرية قرب بئر يعقوب "وكان نحو الساعة السادسة" (يو ٦:٤)، وهي الساعة التي عُلّق فيها يسوع، لاحقاً، على الصليب ونبعت من جنبه أنهار ماء الحياة للجميع. يخرج يسوع أحياناً لملاقاة النفوس التي إن تُركت على هواها قد لا تعرف الطريق إليه ورؤيته، هو الراعي الصالح الذي يخرج للتفتيش عن الخروف الضال (لو ٤:١٥ – ٥). وأحياناً أخرى يجلس وينتظر قدوم سائح تائه إليه، حتى عندما نكون معه، فهو ينتظر خطوة أخرى نحو الأمام. الحياة المسيحية هي حضور دائم للمسيح وسلسلة لقاءات معه. بئر يعقوب يتحرك معي مانحاً إياي الفرص لملاقاة الألوهة.

قد يكون إختيار بئر يعقوب، أبي الآباء، مكانا لملاقاة السامرية، عودة الى الجذور وبراءة العلاقة مع الله. هكذا التلميذ المسيحي، عليه العودة الى الجذور، الى المسيح، لفتح حوار مع الله، حيث توجد قاعدة واحدة للكلام. قد تكون الحاجة المادية ضرورية لبدء الحوار، هذا ما حصل مع السامرية التي كانت بحاجة الى ماء للشرب. المادة تقود الى الروحي. قد ينتظر يسوع فرصة إحتياجي ليتدخل في حياتي ويقودها نحو الأسمى.

يسأل يسوع المرأة السامرية أن تسقيه وهو الذي يستطيع أن يعطيها الماء الحي، لكنه، وهو المعطي، يضع نفسه في موضع السائل (الطالب). أن تتواضع، أن تجعل نفسك مدينا للآخر، محتاجا إليه، قد يكون أسلوبا ليفتح الآخر قلبه لك. هذا يظهر تلازم التواضع والعطاء.

يسوع في إنجيل اليوم يطلب ماء ليشرب وهو من يعطي ماء الحياة، حياة النفس والروح بكل أبعادها. كلنا نشتهي ملء الحياة، ويسوع يسألنا أن نعطيه شيئا من حياتنا يكون الطريق الى ملء الحياة. وإذا كان معنى الحياة المحبة المطلقة، فيسوع عطشان لمحبتنا البشرية. إنه قريب منا ومتواضع الى حد أنه يطلب أن نحبه : "أعطني لأشرب". سوف يستجيب لمحبتنا الفقيرة بمحبة لا متناهية : "لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك اعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيا" (يو ١٠:٤). نحن نسعى الى إطفاء ظمأ نفوسنا وإلى الوصول الى الإكتفاء في الحياة عبر مضاعفة ما نمتلكه وما نشتهيه. نلهث وراء الأحاسيس والعواطف والأفكار لكننا نبقى على عطشنا. "من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا" (١٣:٤). لكن من يعطيه يسوع حياته سوف لن يعذبه عطش – "لن يعطش أبدا" – بل – وهنا المفارقة – يصبح مصدر الحياة : "الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية" (٤:١٤)، يستقي من يسوع مصدر الحياة ليصبح هو مصدرا.

الشرط الأساسي لكي يعطينا يسوع ماء الحياة هو تخطي خطيئتنا – ليس بالمعنى العام– بل الخطيئة التي نرزح بثقلها فعلا والتي تربطنا. السامرية سألت يسوع هذا الماء فطلب منها أن تأتي بزوجها لأنه عالم أنها تعيش مع شخص لم تتزوجه وهو غير أزواجها الخمسة السابقين. لكي يعطينا الرب نعمته علينا تخطي العوائق الأخلاقية التي تقف بيننا وبينه. الحياة الروحية لا تنفصل عن الحياة الأخلاقية. لذلك علينا تحرير أنفسنا من أصنامها وزناها وتوجيهها نحو العريس الأبدي.

غالبا ما نوهم أنفسنا أننا لا نملك الشجاعة على جحد "أزواجنا" أي خطايانا، فنستبدلها بالكلام الجميل عن الله والأحاديث اللاهوتية ومشاريع الأعمال الخيرية والمسائل المسكونية. يسوع يقطع الطريق ويسأل السؤال مباشرة : أين رجلك ؟ أنا لم أعهد إليك بالكون بأسره، ماذا عن نفسك ؟

المرأة السامرية إعترفت بحالها بتواضع وانسحاق وصراحة. واحدة تنقصها بعد ولا تتلهى بالقشور ؛ هل تسجد في أورشليم أم في الجبل أم في مكان آخر ؟ الله موجود في كل مكان والمهم أن تعبده بالروح والحق : "الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق" (٢٣:٤). الرب يسوع المسيح هو جوهر عبادتنا وملء إيماننا وخلاصنا. العبادة بالروح والحق ليست عقائدية أو عاطفية أو طقوسية وشكلية. إنها الجهد الدائم بأن نفكر ونقول ما هو حق، أن تتحد إرادتنا بإرادة الله، أن ندع الروح القدس يقود نفوسنا بالمطلق. كلمات يسوع هذه يكرهها كل من يريد سلطة بشرية لأنه يحاول أن يحل مكان السلطة الإلهية. وهذه الكلمات سوف تبقى الى الأبد محبوبة من الذين يرغبون بتحرير أنفسهم من كل كذب ونير يقف حاجزا بين المخلص ونفوسهم.

يسوع يقول لنا كما قال للسامرية : "أنا الذي أكلمك هو" (٢٦:٤)، فهل سنستجيب له كما المرأة السامرية ونعلن للجميع أنه المسيا المنتظر ؟ المهم أن يأتي جوابنا قبل "آخر الأيام"، أن نصل الى بئر يعقوب الى الجذور ونلاقي المسيح وننهل منه ماء الحياة الأبدي الذي لا يفرغ أبدا.

+ الصلاة في الحياة المسيحية

* الصلاة الدائمة

الحياة في أعمق معناها تتلخص في فعلين دائمين بسيطين، أولهما المحبة وهذه مصدرها الله، وثانيهما العبادة وهذه تختص بالخليقة. هذان الفعلان دائمان بلا انقطاع. فلا الله

يكف عن محبته للخليقة، وبالتالي يجب ألا تتوقف الخليقة عن عبادتها لله، لأنـــــه "إن ســكت هؤلاء فالحجارة تصرخ" (لوقا ١٩ :٤٠).

هذان الفعلان لا ينتهيان حتى بعد إنتهاء الحياة ويدومان الى الأبد لأن الله يرى مسرته في الإنسان، ونحن نجد سعادتنا الحقيقية في عبادته والتضرع إليه.

لقد قلنا سابقا أن الصلاة هي وسيلتنا الأهم وقد تكون الوحيدة للإتصــــال بــالله، وقــد وضعها الله فينا بواسطة حلول روحه القدوس علينا، بالمواهب التي نلناها في سري المعمودية المقدسة والميرون.

هل من طريق يوصلنا الى حياة كلها عبادة وصلاة مستديمة لا تنقطـــع، فنجعــل الله مركزا لتفكيرنا والمحور الذي تدور حوله كل أعمالنا وتصرفاتنا، نحيا في حضـــرة الله مــن الصباح الى المساء ومن المساء الى الصباح ؟ ليس هذا عملا سهلا، بل أنه يحتاج الى مثابرة وعزم ودقة. لكن لا ننسى أننا في ذلك نتمم إرادة الله وقصده وهو لذلــك ســيعطينا المعونـــة والقدرة لإتمام مشيئته.

قد يظن البعض أن الصلاة الدائمة هي عمل الرهبان المتنسكين فقط، لأنهم منصرفون الى عبادة الله والصلاة إليه طيلة أيام حياتهم. إلا أن هذا القول سبيل للــــهروب مـــن تطبيـــق وصية الله لنا على لسان بولس الرسول في رسالته الى أهل تسالونيكي أن "صلوا بلا إنقطاع" (٥ :١٧)، ذلك أن الصلاة الدائمة تنجينا من الوقوع في التجارب، وهذه وصية الـــرب يســـوع لتلاميذه "صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة" (لوقا ٢٢ :٤٠).

إن أهداف الصلاة الدائمة هي دوام الوجود في حضرة الله، وإشراكه في جميع أعمالنا وأفكارنا، ومعرفة إرادته التي تقودنا الى معرفته بصورة أدق، والسكنى بقربه ومعه.

وحتى نصل الى هدفنا لا بد من تدريب لكي نعي أن الله موجود دائما وأنه يعرف كل ما نفكر به ونقوله ونعمله ولذلك لا بد من التعاطي معه على أنه شخص موجود فعلا نخاطبه مخاطبة بسيطة، معبرين عن واقعنا دون فلسفة أو تبرير، فنفتح له عقولنا وأفكارنا ونضع بين يديه قلوبنا كما هي، تاركين له أن يفحصها ويمتحنها لأنه قادر أن ينقيها لتكون مسكنا له.

يتطلب ذلك أن نجاهد في سبيل هذا الإستسلام الكلي الى المشيئة الإلهية، تاركين عنا كل الإهتمامات الدنيوية أيا تكن طبيعة الأوقات التي نمر بها، ومهما كانت حرجة أو مزعجة أو حتى سعيدة. هذا الهدوء الداخلي هو الوسيلة التي تمكننا من سماع صوت الله يكلمنـــا مـــن الداخل (الصلاة ليست فقط ما نقوله لله، بل ما يقوله لنا هو أيضا) فنعـــرف إرادتـــه ونتبـــع وصاياه.

الصلاة الدائمة توازي وجودنا في حضرة الله ولكنها أيضا توازي حضور الله فينا فيسكن غضبنا ومشاعرنا المفسدة لأن الله لا يساكنه شرير.

لا يتخيلن أحد أن هذا الأمر يسير، لأن الإنسان ميال بطبيعته الى الاستسهال، فيقع في شرود الذهن ويتغلب عليه إبليس. إن ضبط الفكر ومنعه من الشرود صعب ويتطلب تدييا ومثابرة عظيمين.

الله لا يترك الساعين إليه بصدق بل يشددهم ويساعدهم، وفي أثناء جهادهم يعطيهم تعزيات كبيرة، واحدة منها هي الإستنارة والقدرة على التمييز يبلغها المتقدمون فيقدس الله نفوسهم وهم بدورهم يكونون له شهودا في العالم، يستبقون فيه حضور الملكوت.

+ العيش في عالم غير أرثوذكسي (تابع)

+ لا تخافوا

عندما كان الرسل ينتقلون من مكان الى مكان، لم يكونوا يغيرون أماكن تواجدهم وحسب، بل كانوا يقومون بذلك مدفوعين بالحياة الجديدة التي أعطوها للكثيرين. إنطلاقا من هذا، ماذا نفعل نحن اليوم ؟ هل نترك أثرا في الأشخاص الذين نلتقيهم وفي الناس الذين يحيطون بنا ؟ الذي يحصل لنا هو أننا، كجماعة المسيحيين، صرنا في حال من الطمأنينة الممزوجة بالرجاء منذ إعتراف الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية وإنتشارها نتيجة لذلك. إن الطمأنينة والرخاء هما شران. فالطمأنينة تجعلنا غير مدركين خطورة المسار الذي نسلكه، كما يقول لنا أحد الرسل، لأننا نظن، خطأ، أننا محمولون على سفينة ستعبر بنا بحر الحياة نحو الأبدية. كل خطوة هي، في النهاية، تحد ؛ كل خطوة هي خطر ؛ كل خطوة هي مغامرة. ففي كل لحظة، الشر متربص بنا كما أن الله مرافق لنا ؛ إلا أننا ننسى أن قوة الله، في كل الأحيان، هي أعظم من قوة الشر.

يقول هرماس الراعي (منتصف القرن الثاني) في إحدى رسائله : "تذكر أن لا يكون خوفك من قوة الشر أعظم من ثقتك بقوة الله ومحبته". هذا هو الجديد الذي أدخله الرسل الى المجتمع الوثني الذي كان الناس فيه مرتاعين من الشر، من القوات الشريرة، من الشيطان. إزاء ذلك، أعلن الرسل : "لا تخافوا، فقد غلب المسيح كل شيء. الشيطان قد هزم، وإذ كنتم مع الرب فأنتم لا تقهرون". هذا خطاب لا نسمعه كثيرا هذه الأيام.

+ الشهادة والطمأنينة

الناس في أيامنا هذه يلتصقون بعضهم ببعض ولا يتطلعون الى الخارج لأنهم خائفون من العيش حتى الملء ومن الذهاب نحو المجهول لملاقاة الذين يرفضونهم أو ربما يشكلون

خطرا عليهم. المطران باسيليوس أسقف سارايبفو تكلم عن معمودية الدم. كم نحن بعيدون عنها اليوم، لكننا في الوقت ذاته نجد سهولة فائقة في الحديث عنها. وقد علق أحد الوعاظ الفرنسيين، ويدعى بوسوي على هذا بالقول : "كم هو مريح أن نسمع الكهنة في معظم الكنائس يتحدثون عن الشهادة. فالشهادة، عندما يدنو أجلها، لا تدع مجالا للكلام لأن مجرد الكلام عنها يعني أننا في راحة وطمأنينة".

من ناحية أخرى، أصبحنا ثابتين في أماكننا أكثر من اللزوم. فقد أنشأنا جماعات مسيحية لا تنظر الى ما هو أبعد من حدود إقامتها وطريقة عيش أفرادها. نحن نقيم الخدم الإلهية والصلوات، مما يدفع الناس الى الظن بأنها هي محور الوجود. فالناس يأتون الى قداس الأحد ويصرحون : "ليتنا نستطيع أن لا نغادر حرم الكنيسة، لأن خارجها عالم غريب"، وينسون، ونحن معهم، أ، المسيح قال لنا : "إذهبوا كحملان وسط ذئاب ؛ إذهبوا وتلمذوا كل الأمم". هذا هو ثمر الليتورجيا كما يجب أن يكون. فإذا كنا ندخل في الليتورجيا في شركة مع الروح القدس ومع المسيح، يصبح دورنا أن نذهب الى الخارج وننقل المجد والفرح والمحبة التي إقتنيناها الى الآخرين. لقد تكونت لدينا عقلية تقول أن علينا الشعور بالإطمئنان داخل جدران الكنيسة وضمن إطار حدود الجماعة المسيحية. فالذهاب الى الخارج هو خطر، وهو ما يجب أن نفعله بالدرجة الأولى. لقد نسينا هذا، ويا للأسف.

+ الرهبنة وبذل المرء لذاته

في البدء، كان الرجال والنساء الذين يقبلون على الإيمان المسيحي يتدربون على ضرورة الإستعداد للحياة أو الموت في سبيل المسيح. إلا أن الناس، بعد أن صاروا مقبلين الى الكنيسة بسبب إنضمام الإمبراطور إليها، بدأوا يشعرون بالحاجة الى الطمأنينة. لكن السؤال هو : هل يعود شعورهم الى الإحساس بالأمان في كنف الله ؟ الجواب هو طبعا كلا. الطمأنينة المنشودة هي التي تتولد من العيش تحت سلطة القوة الحاكمة. عند هذه النقلة، إتبدأت الرهبنة. فقد ترك أناس ذوو روح جريئة المدن والراحة المتأتية عن العيش في دولة مسيحية وخرجوا الى البرية لمحاربة الشر في دواخلهم والشر الذي كان ينتشر حولهم.

يقول الأب جورج فلوروفسكي إن أولئك الناس لم يهربوا من المجتمع الوثني ولا من الإضطهاد. هم هربوا من مسيحية فقدت "ملحها"، هربوا من مجتمع مسيحي لم يعد له طعم. لم يعد ذلك المجتمع الجسم الصلب الذي كان عليه في الإبتداء. هكذا كانت بداية الرهبنة، وهذا هو الدافع الذي ما فتىء يشكل خافزا لها للإستمرار. حتى اليوم، هذا هو منحى كل من يود الإنخراط في الرهبنة التي ترفض القبول بالمنطق الضعيف والمتراخي وغير المسؤول الذي

يميّز المجتمع المدني والثابت الإقامة. الرهبان يريدون أن يكونوا وحدهم مع الله، ومعه يودّون الذهاب الى كل المواضع التي تحتاج الى وجوده والى بذلهم لذواتهم.

وعندما أتكلم عن "بذلهم لذواتهم"، لا أقصد الموت تحديداً. فالعيش، في بعض الأحيان، في ظروف مأساوية ومؤلمة لوقت طويل هو أهم من الموت دفعة واحدة.

المطران أنطوني بلوم